«الدرس الأول»

إنَّ الحمد لله نَحْمَدُهُ ونَسْتَعِينُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ، ونعوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلا مُضِلَّ لِه، ومَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وأَشْهَدُ أن لا إله إلا اللهُ وحَدهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وأشهدُ أن محمدًا عبدُهُ ورسولُهُ،

أما بعد:

فسأبدأ كلامي كالعادة وقفة مع سورة الفاتحة لما للفاتحة من فضل، وفيها من أسرار فرأيت أن ابتدئ كل دورة أدرسها في هذا المركز بفائدة حول هذه السورة، وأذكركم بما أسلفت من كليات حول الفاتحة فقلت إن الفاتحة تشمل أربع مقامات

المقام الأول: الحمد، وهو الأصل في العبادة.

والمقام الثاني: العبادة، وهو الأصل في الهداية.

والمقام الثالث: الهداية، وهو الأصل في النعمة.

والمقام الرابع: مقام النعمة، أن يكون الإنسان مع الذين أنعم الله عليهم، أن يكون مع النبيين ومع الصحابة والتابعين، ولا يرتقي الإنسان من مقام إلى الذي يليه حتى يتحقق في الذي قبله.

فلا يكون الإنسان حامدا حتى يكون عابدا، ولا يكون على هداية حتى يكون ذا عبادة، ولا يكون في مقام الذين أنعم الله عليهم حتى يكون ممن هداهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وأجمل ما في سورة الفاتحة في القراءة وعند سمعها الضمير المتصل بأنعم في قوله ﴿أَنعَمتَ عَلَيهِمْ﴾ وأرجو الله أن نكون منهم، وأخرج الآن من

العمومات لأخص الفائدة المرجوة في هذه الدورة، وهي تدور حول الصراط، ولا يكون الإنسان ممن أنعم عليهم حتى يكون على الصراط.

فأن يكون الإنسان على الصراط فوق أن يكون ذا هداية.

الهداية هدايتان هداية إلى الصراط وهداية في الصراط، والعبد في الفاتحة يسأل ربه الهداية في الصراط لأنه قد حصل تحصيل حاصل الهداية إلى الصراط.

والهداية في الصراط أدق من الهداية إلى الصراط، ولا يكون العبد مهديا في الصراط إلا أن يكون ممن أنعم الله تعالى عليهم.

العجب بماذا يخص الإنسان سؤال الهداية بالصراط؟

وفرق بين الصراط، والطريق، والسبيل.

وأمرنا ربنا أن نسأله ﴿اهدِنَـا الصِّرَاطَ المُستَقِيم﴾ وبَيَّنَ الهداية أتم بيان؛ فذكرها مجردة عن أهلها، ولمزيد بيان ذكرها مع أهلها، ولمزيد بيان وتُعرف الأمور بأضدادها ذكرها، ذكرها بأضدادها فقال ﴿غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالّين﴾

﴿غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالّين﴾ هو تعريف للصراط المستقيم

فلابد حتى يتلبس الإنسان بالهداية من أمرين كما هذه الورقة من العملة لها وجهان ولا تروج إلا بالوجهين، ولو كانت ذا وجه لا تروج ولا تُقبل في الدنيا.

فممن من أنعم الله عليهم، ومن هو على الصراط المستقيم هو الذي حقق الصراط المستقيم غير من غضب الله عليهم ممن هم عالمون غير عاملين، ولا الضالين ممن هم عاملين غير عالمين.

تمام الصراط أن تكونوا -يا طلبة العلم- حريصين على أن تتعلموا، وأن تعملوا.

فعلم بلا عمل سبيل اليهود، وعمل بلا علم سبيل النصارى، وانظروا حواليكم وانظروا إلى الأسماء التي تعمل في الساحة لتعلموا نصيبا كبيرا مِن تشبهنا بسنن الذين قبلنا، ونعوذ بالله أن نكون ممن غضب الله عليهم، وممن أضلهم الله.

﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ﴾ لماذا قال الله ﴿الصِّرَاطَ﴾؟ وما هو الصراط؟

العرب في أمثالها تقول لا تكن حلوا فَتُسْتَرَط، ولا تكن مُرا فَتُلفظ. لا تكن حلوا فَتُسْتَرَط أي فَتُبلع اهدنا يا ربنا الصراط الذي بَلَّعَ الخليقة كلها من لدن آدم إلى قيام الساعة من كان عاملا بدينه سبحانه، اهدنا هذا الصراط. هذا الصراط إن أردنا أن نقربه بتقريب جملي لا تفصيلي فهو سبيل، والسبيل هو الطريق المسلوك ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ [يوسف:108] الطريق المسلوك، ومنها طريق سلكه من قبلنا من النبيين أو في الشريعة من الصحابة والتابعين، وأصبح سننا مهجورة. فأنت تسأل السبيل وزيادة.

ما كان دينا وتركه الناس، ما كان عليه الصحابة والتابعون والمرضيون؛ فهذا الصراط، ما فعلوه ثم هجرته الخلوف، وأصبحوا لا يعرفونه فأنت

تقول ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ﴾ سواء ما هو معلوم من دين الله ومعروف، ومنه ما هو مهجور وكان معروفا.

فالدين ما عرفه أهل بدر وكلما ترقى الإنسان في الهداية في الصراط ردد مع سفيان إذا استطعت إلا تحك رأسك إلا بأثر فافعل، وردد مع سعيد بن المسيب رَحِمَهُ اللَّه قوله ما لم يعرفه أهل بدر فليس من دين الله.

فيبقى الإنسان في أحواله كلها الظاهرة والباطنة يسير مع من قبلنا، يسير مع السلف؛ فصراط الذين أنعم الله عليهم صراط النعمة بعد الهداية هي الهداية الطريق السلف.

هذا معنى قولك ﴿أَنعَمتَ عَلَيهِمْ﴾ اجعلني يا ربي أسير على طريق من أنعمت عليه، ﴿وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَـئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء:69] ليس بترداد اللفظ فكم من مردد لفظا لا يعرفه، وإنما في حاله مع ربه، في نطقه وسكونه، في قوله وفعله، في جلوته وخلوته. فإن قَرُبت من هؤلاء كلما ازددت معرفة فيهم.. ازددت معرفة بمقدار الهداية التي أنعم الله عَزَّوَجَلَّ بها.

أرجو الله أن نكون من هؤلاء، ونرجو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يحشرنا مع النبيين والصديقين والشهداء.

اليوم نتمم ما وصلنا إليه من بيان لبعض أحكام في آيات من سورة التوبة، نسمع السورة ثم نتكلم عن أحكامها إن شاء الله، والله الموفق.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد..

قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [التوبة:73]

هذا الخطاب موجه للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والخطاب الموجه للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ موجه لأمته كما أن الخطاب الموجه لأمته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهو موجه له، إلا أن تأتي قرينة تخص النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأن الخطاب خاصا به كقوله سُبْحَانَه ﴿خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأحزاب:50] الله عَزَّوَجَلَّ يأمر نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -وهذا الأمر يدخل فيه من ينوب من الخلفاء والسلاطين والملوك- يأمرهم الله عَزَّوَجَلَّ بأمر فيه جهاد وهو موضوع سورة التوبة يقول الله عَزَّوَجَلَّ ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ الجهاد قسمان: جهاد للكفار وجهاد للمنافقين.

أيهما أصعب؟ الأصعب جهاد المنافق. جهاد الكافر ميمعة تُسال فيها الدماء، ويقع القتال تظهر النصرة ويظهر الحق.

أما جهاد المنافقين يحتاج إلى يقظة، وجهاد المنافقين لا يقوى عليه إلا خواص الأمة وورثة الرسل والقائمون على جهاد المنافقين هم أفراد

معدودون في العالم، والمشاركون في جهاد المنافقين والمعاونون عليه هم الأقلون، ولكنهم الأعظمون أجرا عند الله، وأرفعهم قدرا.

فهم أصحاب المنزلة العظيمة، وهذا الأمر متعلق بالعلماء، وجهاد الكفار متعلق بالشجعان ووسيلته السيف والسنان، ووسيلة جهاد المنافق الحجة والبرهان ورحم الله الإمام ابن القيم لما قال في كتابه العظيم الفروسية قال **(ولما كان الجلاد بالسيف والسنان، والجدال بالحجة والبرهان كالأخوين الشقيقين والقرينين المتصاحبين كانت أحكام كل واحد منهما شبيهة بأحكام الآخر ومستفادة منه)** قال **(فالإصابة في الرمي والنضال كالإصابة بالحجة والمقال، والطعن والتبصيل نظير إقامة الحجة وإبطال حجة الخصم، والدخول والخروج نظير الإيراد والاحتراز، وجواب الخصم والقرن عند دخوله عليك كجواب الخصم فيما يورده عليك فالفروسية فروسيتان فروسية العلم والبيان وفروسية الرمي والطعان، ولما كان أصحاب النبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أكمل الخلق في الفروسيتين**

فتحوا القلوب بالحجة والبرهان والبلاد بالسيف والسنان، وما الناس إلا هؤلاء الفريقان، ومن عداهما فإن لم يكن ردءا وعونا لهما فهو كَلٌّ على نوع بني الإنسان)

من لم يكن من أهل هاتين الفروسيتين أو معاونا لهما فهو كَلٌّ فهو كل على نوع بني الإنسان، وقد أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ورسوله بجدال الكفار والمنافقين، وجلاد أعدائه المشاقين والمحاربين.

فعلم الجدال والجلاد من أهم وأنفع العلوم للعباد، ولا يعدل مداد العلماء إلا دم الشهداء، والرفعة وعلو المنزلة في الدارين إنما هي لهاتين الطائفتين، وسائر الناس رعية لهما منقادون لرؤوسهما.

الفساد فساد في العمل، وفساد في التصور.

فساد التصور يحتاج إلى علماء، وفساد العمل يحتاج لتقويم السيف والسنان، والنعمة العظيمة التي عليها مدار من أنعم الله عليهم حسن الفهم مع حسن القصد.

حسن الفهم بالعلم وحسن القصد بالنية الصالحة فجمعوا بين العلم والعمل، وهنا أمر الله عَزَّوَجَلَّ نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ الجهاد في الكفار أظهر فقدم، والجهاد في المنافقين غير ظاهر إلا لأصحاب البصيرة فذكره الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فقال ﴿وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ كيف تكون طريقة جهاد المنافقين؟

تكون طريقة جهاد المنافقين بكشف زيفهم وألاعيبهم، وذكر الله هنا فقال ﴿وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ أُشدد عليهم،

على من؟ على الكفار وعلى المنافقين ﴿جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ جدال المنافق يحتاج إلى غلظة يحتاج إلى شدة، وهذا من الحكمة، وهذا داخل في قول الله سبحانه ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ﴾ [النحل:125] فالحكمة في جدال منافق تكون بغلظة وتكون بشدة ﴿وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ من الغلظة ضد الرقة وهو خشونة الجانب، وتكون المعاملة بالشدة وهذه المعاملة بالشدة تدفع الغرور وتمنع الطغيان فتكون عذابا له مع الهزيمة والخسران في المعركة التي هي بالسيف والسنان.

انظر في الآية وتأملها ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ كيف يجاهدهم؟ غير مذكور. كيف نعرف الجهاد؟ من خلال سنته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسنة أصحابه، نتلمس جهاده في هؤلاء.

﴿وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ أي قل لهم وازجرهم وتوعدهم وهددهم وما أشبه ذلك.

لماذا لم يقاتل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المنافقين؟ ما قاتل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المنافقين كما ثبت في الصحيحين من حديث جابر في قصة طويلة لما استأذن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عمر قال دعني اضرب عنق هذا المنافق فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دعه لا يتحدث الناس أن محمدا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقتل أصحابه.

الناس من حيث تقسيم المِلّي ثلاثة أصناف لا رابع بينها، وهذا مذهب أهل السنة خلافا للمعتزلة الذين يزيدون قسما رابعا، وهو ما بين الكفر والإيمان.

لما ذكر الله الأمانة ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً﴾ [الأحزاب:72] قال الله بعدها ﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب:73] بعد الأمانة قسم الله الناس ثلاثة أصناف:

الصنف الأول من حملها في الظاهر دون الباطن وهم المنافقون، ومن ردها في الظاهر والباطن وهم المشركون، ومن حملها وهي ثقيلة عجزت الجبال عن حملها وهم المؤمنون بأصنافهم جميعا فقال الله ﴿وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ حتى الفاجر والفاسق؟ والفاجر والفاسق.

الكفار حكمهم ظاهر للعيان، النفاق حكمهم عند الله، وهذا أصل أصيل من غفل عنه أصيبت مقاتله أن هنالك أحكام دنيوية لا أخروية، والأحكام الدنيوية غير الأحكام الأخروية، وهذا في المنافقين، وفي من تظاهروا بالإسلام فقالوا أشهد أن لا إله إلا الله، ولكن ما فعلوا خيرا. قلوبهم لا تحب الخير فهؤلاء عند الله عَزَّوَجَلَّ حبهم غير حبهم في الدنيا، ولذا المنافقون كان قتالهم صعبا وسبب صعوبة قتالهم أنك لا تميزهم. العجب قال الله عَزَّوَجَلَّ للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن المنافقين ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ [محمد:30]

واختلف أهل العلم هل كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعرف المنافقين بأعيانهم أم أنه يجتهد ويعرف أوصافهم؟ اربط هذا بالآية ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ هل يعرف أعيانهم؟ الآية الظاهر أنه يعرف أعيانهم، ولكن سيأتينا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صلى على منافق، وصلى على منافق بقرينة، ولم يرض ذلك عمر وأبى عمر أن يصلي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على ذاك المنافق؛ فالآية تشير إلى معرفة أعيانهم بأفعالهم.

تشير إلى أنه يعرف أعيانهم بأفعالهم.

فأفعالهم تدل على أعيانهم، وهذا الميدان أن تطبق أوامر الله وترصد أحوال الناس، وأن تكون واعيا في الرصد وأن تحسن تمييز الناس المؤمن من الكافر، فالمؤمنون على درجات فمنهم العاصي، وقد تظهر فيهم شيء من علامات المنافق، وأن تميز هؤلاء الذين ليسوا هم منافقين خالصين عن المنافق الخالص هذا أيضا فيه صعوبة، ولكنه سهل على من سهله الله، وهذا سر من أسرار خطاب الله لنبيه بقوله ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ فكان الخطاب للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهو القائد الأعلى، ولأنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو الهادي وهو المرشد وهو الموجه وهو المعلم وهو الذي يعرف أحوال الناس والذي يعرف ظواهرهم وربط ظواهرهم ببواطنهم، وله حدس وله قوة وله فراسة في معرفة هؤلاء.

قال ابن قال ابن عباس في تفسير الآية ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ قال جاهد الكفار بالسيف وجاهد المنافقين باللسان هذا أثر أخرجه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس وهو صحيفة وجادة، والوجادة حجة يُحتج بها ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ أخذ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من هذه الآية قوله «**جاهدوا المشركين بأنفسكم وأموالكم وألسنتكم**» ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول «**جاهدوا المشركين بأنفسكم وأموالكم وألسنتكم**» والجهاد باللسان إنما هو للمنافق الذي يفسد بقوله.

فالجهاد باللسان له مقام عظيم وهذا المقام العظيم مقرون في هذه الآية بجهاد الكافر الذي هو بالسيف والسنان، والذي ينفع وينجع في جهاد المنافقين اللسان والحجة والبرهان.

المعنى المجمل للآية يأمر الله نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يجاهد الكفار والمنافقين وأن يشدد عليهم بالقول والعمل، وبين أن مصيرهم في الآخرة نار جهنم وبئس المكان الذي صاروا إليه.

جاهد الكفار والمحاربين بالسلاح، وجاهد غير المحاربين منهم بالحجة، وجاهد المنافق بالسلاح إن أظهروا كفرهم للعيان، ومن جهاد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للكفار والمنافقين أن يقيم عليهم أحكام الله، ألا يفلتوا من حكم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

طريقة الجهاد غير مذكورة في الآية، ويشمل الجهاد بالنفس والمال واللسان، وإقامة حدود الله عَزَّوَجَلَّ على هؤلاء وهؤلاء أعني الكفار والمنافقين هذه الأمور كلها تشمل ﴿جَاهِدِ﴾فثبت في الصحيحين من حديث أنس أن يهوديا رَضَّ رأس امرأة بين حجرين فقيل لها، وقد أدركوا أواخر حياتها من فعل بك هذا؟ أفلان أو فلان حتى سموا يهودي، فؤتي به إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلم يزل به حتى أقر فرضَّ رأسه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالحجارة. هذا يهودي، وكذلك ثبت في الصحيحين عن أنس قدم على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نفر من عُقْل فأسلموا فاجتووا، كرهوا الإقامة بالمدينة. كانت الإقامة بالمدينة ثقيلة عليهم فأمرهم أن يأتوا إبل

الصدقة فيشربوا من أبوالها وألبانها ففعلوا فصحوا فارتدوا وقتلوا رعاتها واستاموا الإبل فبعث صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في آثارهم فَؤُتِي بهم فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم ثم لم يكوهم حتى ماتوا بالقصاص.

فهذا أيضا لون من ألوان الجهاد ﴿وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ متى يلجأ الإنسان للمأوى؟ حتى يرتاح. هؤلاء المنافقون والكفار يدأبون ويخططون ويعملون ويمكرون فقال الله عَزَّوَجَلَّ ﴿وَمَأْوَاهُمْ﴾ هذا فيه تهكم لهم فالإنسان يجد في المأوى والمستقر والراحة والاطمئنان فذكر المأوى في هذا السياق تهكم لهم كقول الله عَزَّوَجَلَّ ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الانشقاق:24] البشرى لا تكون بالعذاب هذا فيه تهكم فلما ذكر الله عذابهم في الدنيا بالجهاد والغلظة فذكر مقر الكفار والمنافقين في الآخرة وأنهم في جهنم وأنهم لا يخرجون منها، وهذا مذكور في القرآن في آيات عديدة ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء:140]

﴿وَمَأْوَاهُمْ﴾ معنى المأوى المصير والمثوى والمقام والمسكن والمكث الذي يمكثون فيه، والمرجع الذي يعودون إليه.

فمأوى كل شيء المرجع الذي يعود إليه. هذا المعنى الإجمالي.

الآن الأحكام التي تخص هذه الآية:

الحكم الأول: كل من كل من وُقِف على فساده في عقائده فحكمه أن يُجاهد بالحجة ويستعمل معه الغِلَظ ما أمكن، وهذا مأخوذ من قوله ﴿يَاأَيُّهَا

﴿النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ كل من في عقيدته زيغ وريب وشك فهذا يجب جهاده وتقويم اعوجاجه وأن يُسلك الغلظة معه ما دام الدين قائما، وما كانت المصلحة حاصلة في التغليظ عليه.

الحكم الثاني: إقامة الحجة وكشف زيف المبطل هو نوع من أنواع الجهاد.

مثل هذا مقاومة الملحدين والمنافقين، والذين يعملون على رد كلام الله والاستهزاء به والاستهزاء بسنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومخالفتها.

فبيان حجج هؤلاء والرد عليهم هذا من دين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وهذا من الجهاد.

قَرَنَ المنافقين هنا بالكفار تنبيها على أن سبب الأمر بجهاد الكفار قد تحقق في المنافقين، فجهاد هم كجهاد الكفار. فالجهاد إنما شُرع لإعلاء كلمة الله، ولإزالة الحواجز التي تحول دون دخول الناس في دين الله.

تحطيم هذه الحواجز، وهذا يحتاج إلى الأمرين معا. العدو الداخلي عند وجود القوة للمسلمين وهو المنافق، والعدو الخارجي الذي ظاهر بعداوته للمسلمين.

الآن المسألة المهمة وهي مدار البحث في هذه الآية قول الله سبحانه ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ﴾ بما يتحقق هذا الأمر؟ كم مرة يجب على النبي وعلى الحاكم المسلم أن يجاهد الكفار حتى يمتثل هذا الأمر؟ والمسألة قائمة على أصل مذكور في علم الأصول، وهذا الأصل مفيد في كثير من المسائل.

علماء الأصول يقولون هل الأمر يقتضي التكرار؟ وهل تعلق مِن بالأمر بعدد المرات؟

الأمر المطلق ينفذ بأن يُفعل مرة، وليس هنالك صلة بالأمر إلا أن يوجد، والوجود يتحقق بمرة واحدة. فإن تحقق الأمر مرة حينئذ برئت الذمة.

هذا كلام نظري يعارضه عُرف الشرع في الأمر.

عُرف الشرع في الأمر أنه يقتضي الدوام، يقتضي التكرار؛ لأن الشرع علق الأوامر على أسباب لها.

انظروا إلى أركان الإسلام، صلاة علقها بدخول الوقت فكلما دخل الوقت وجبت الصلاة.

الزكاة علقها بالنصاب مع حولان الحول.

الصوم علقه برؤية الهلال.

فَعُرْفُ الشرع في استعمال الأمر إنما هو التكرار.

فالغالب على أوامر الشريعة أن الأوامر تفيد التكرار بقرينة، وهذه القرينة ينبغي أن نتلمسها.

الآن بيان ما نحن بصدده. ما هي القرينة التي تسعفنا وتدلنا على مقدار ما يريد الله تعالى في قوله لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ﴾؟

الأصل في الجهاد، وذكرنا هذا مفصلا في آخر الدورة السابقة، الأصل في الجهاد أنه على الكفاية مالم يعرض عارض، وينقل الفرض إلى التعجيل وهذا يكون في جهاد الدفع لا الطلب. جهاد الطلب الأصل فيه الكفاية. جهاد الدفع عندما يهجم الكفار الواجب على المسلمين أن

يدفعوهم، وهذا واجب على كل إنسان ممن يقدر على دفعهم، ولكن هذا الأمر المجرب ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ﴾ ما المقدار الذي يتحقق إن فعلناه؟

نعم تدل هذه الآية أن من الواجب غزو الكفار ابتداء، وأن نجاهدهم على الإيمان لتكون كلمة الله هي العليا، وحتى يتمكن الناس من الدخول في دين الله عَزَّوَجَلَّ قال جماهير أهل العلم أقل الواجب أن يقع مرة في كل

عام ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ﴾ جاهدهم مرة في كل عام.

من أين أخذ العلماء ذلك؟ مرة في كل عام.

قالوا الجزية -التي تكلمنا عليها مفصلا الدورة الماضية- تجب على أهل الذمة مرة في السنة، والجزية هي بدل من نصرتنا ودفاعنا عن أهل الذمة.

فكذلك مُبْذَلَها، وهو الجهاد في سبيل الله. ندفع كل كتابي يدفع جزية كل عام مقابل أن ننصره إذا اعتُدي عليه. فالواجب علينا أن نجاهد كل عام مرة، وهذا منصوص مذهب الشافعية ومذهب الحنابلة.

قال بدر الدين بن جماعة الشافعي في كتابه تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام في صفحة 155 ثم إن كان المسلمون مستظهرين على عدوهم فأقل ما يجزئ في كل سنة غزوة، فلا يجوز خلو دين الإسلام عنها أما بنفس الإمام أو نائبه، بسرية أو جيش فإن عطل الإمام سنة من غير عذر أثم، وإن دعت الحاجة إلى أكثر من غزوة في السنة وجب ذلك بقدر الحاجة، وهذا القول هو الذي رجحه المحققون من العلماء.

ابن مناصف له كلام بديع فلما ذكر العمومات التي فيها القتال كقول الله عَزَّوَجَلَّ ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [البقرة:193]، ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ

الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة:29] قال فدل ذلك كله على أنه مهما بقي من الكفار أحد يمكن التوصل إليه فواجب على المسلمين قتالهم حتى يسلموا أو يؤدوا الجزية إن كانوا من أهلها،

وإذا تقرر هذا فلم يبقى إلا أن يكون ذلك -أي الجهاد- متواليا متواصلا لا يفتر المسلمون عنه وفي ذلك إجحاف قد عُلِم في الشرع التخفيف عنه يكون متواص فيه شدة، والشرع خفف؛ فقال أو أن يتكرر ذلك على أوقات يتسع الناس في أثنائها فلا تجد أقل من ذلك مرة في العام.

قال الله في المنافقين وتقريعهم ﴿أَوَلاَ يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لاَ يَتُوبُونَ وَلاَ هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [التوبة:126]

فأعلمنا سبحانه أن فتون أهل الكفر، وإصابتهم في كل عام مرة مقنع في العقاب، ومذكر لأولي الألباب، وقد قال كثير من أهل العلم في حد الأداء الواجب القيام بفرض الجهاد، وهو أن يدفع العدو وتحمى الثغور ويستظهر على أهل دار الحرب؛ فإذا قِيم بذلك سقط الفرض، ومن قام به من المسلمين أجزأ، وهذا صحيح ما دام بالمسلمين حاجة إلى ذلك.

يتأكد هذا على وجه أظهر عدد غزوات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو في المدينة مكث عشر سنوات، وثبت في الصحيح مسلم عن بريدة رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قال غزى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تسع عشرة غزوة. قَاتَلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ثمان منها، والناظر

في كلام المحققين من العلماء يجد أن ابن حزم في جوامع السيرة ذكر أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غزى خمسا وعشرين غزوة، وليس الثماني عشر كما قال البراء.

فالبراء يعلم هذا ثمانية عشر، وعَدَّ ابن حزم خمسة وعشرين غزوة، غزوة.. غزوة، وبمقارنة كلامه بكلامه ابن إسحاق في السيرة يجد تطابقا كبيرا بينهم.

فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مدة عشر سنوات غزا خمسة وعشرين، ولذا قال أهل العلم أن المبذل من الجزية، وتؤخذ مرة فالمبدل مثل البدل، والواجب أن يغزو الإمام مرة بنفسه أو بمن ينوب عنه، وهذا هو المقدار الذي رضيه المحققون من العلماء في قول الله عَزَّوَجَلَّ ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ﴾ أما جهاد المنافقين فيحتاج إلى تيقظ وتربص، ويحتاج أن تتخذ إجراءات وقائية قوية حازمة حاسمة، وسيأتينا ذلك من خلال الآيات التي معنا سيأتينا بيان كيف جاهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نسمع الآية هذه، والبيان في الآية التي تليها.

يقول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿فَإِن رَّجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ﴾ [التوبة:83]

الآية في ذكر سياق المُخَلَّفين ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [التوبة:81] ﴿الْمُخَلَّفُونَ﴾ هكذا على الإنكار

﴿الْمُخَلَّفُونَ﴾ ما سماهم، تقتضي الذم، وهؤلاء المخلفون تخلفوا عن الجهاد في غزوة تبوك، وكان ذلك في آخر حياة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكانت غزوة تبوك في أشد الحر، وفي وقت جني الثمار، والاستدامة إلى الراحة في ظل الأشجار، وكانت طويلة وشاقة.

قال الله للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معلما إياه كيف يجاهد المنافقين باتخاذ قرارات حاسمة قال ﴿فَإِن رَّجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ﴾ فإن رجعك الله يا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وردك من غزوة تبوك إلى المدينة المنورة سالما غانما فالرجوع إلى جميع المؤمنين، ولكن ها هنا قال الله عَزَّوَجَلَّ ﴿فَإِن رَّجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ﴾ المراد بـ ﴿طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ﴾ هم المنافقون إن رجعك الله إلى طائفة من المنافقين.

فالضمير في ﴿طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ﴾ تعود إلى المنافقين، وهذا موضع الكلام في سورة التوبة على المنافقين.

مجرد ما يرجع للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى المدينة سيلاقيه هؤلاء المنافقون طائفة من المنافقين، وهذه الطائفة اعتادت تثبيط همم المؤمنين، وبث روح التردد والهزيمة. فهي ستعاود الاستئذان مرة أخرى فكلما اشتدت الشديدة وجد الجد فهم لا يريدون القعود فقط بل ليكونوا أسوة لغيرهم من المتخلفين فيقتدي بهم ضعفاء الإيمان، والجبناء ممن يصيبهم الهلع عند الحرب والفزع عند لقاء العدو.

قال الله ﴿فَإِن رَّجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ﴾ القرار الحاسم قال ﴿فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ﴾ الفاء للترتيب والتعقيب مجرد الرجوع يبدأ هؤلاء بالاستئذان ليكونوا أسوة للجبناء وأسوة للذين لا يريدون القتال، ولتكثير صنف القاعدين.

بمجرد أن ترجع إليهم يفاجئونك بالاستئذان كعادتهم ويكررون معاذيرهم الكاذبة؛ فيدل على أن هذه الطائفة موجودة وباقية، وهي ذات معاذير وهذه المعاذير متكررة وبعضها مختلق، وهي مثبطة وتحتاج إلى مجاهدة ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ جهاد هذه الطائفة أن يعلن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الحزم، والحزم بأن يقول لهؤلاء، وليس الأمر منوطا بالقول وإنما الأمر يُعلن على الملأ وأن يعتقد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حال هؤلاء بأن يقول ﴿لَّن تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا﴾ فقل يا محمد عقوبة لهؤلاء لن تصحبوني في سفر سواء كان سفر جهاد أو سفر نسك أو غير ذلك.

قال ﴿فَقُل لَّن تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا﴾ وإن وقع القتال لن تقاتلوا معي عدوا.

هذا هو الدواء الناجع مع هؤلاء المنافقين أن يعروا، وأن ينبذوا وأن يبتعدوا وأن لا يخلطوا مع الصادقين من المقاتلين المجاهدين مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهذا مذكور في كثير من الآيات.

المنافق متى يخرج للقتال؟ ذكر الله ذلك في سورة الفتح ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن

قَبْلُ﴾ [الفتح:15] المنافق متى وجد فرصة لأن يكون مع المؤمن وغلب على ظنه أنه سينال المغنم خرج، ولما تقع الشدة كالسفر الطويل الذي ذكر في هذه الآية إلى غزوة تبوك في اليوم القائظ الحار وينتقل فيه من المدينة إلى تبوك، المشوار طويل فها هنا يتخلف، فيدور قراره على مصلحته هل يخرج أم لا يخرج. فإن وجد المغانم، وطمع فيها خرج لكن الله جَلَّ فِي عُلَاه أمر نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بجهاد المنافقين بكشف ألاعيبهم، وأن يحرمهم من البقاء مع صف المؤمنين فقال ﴿لَّن تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا﴾ [التوبة:83] حزم، أبدا حكم باطل، حكم مؤبد لا يمكن أن يُجعل المسلم كالمجرم، والسبب ﴿إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ ما ارتكبوه من القعود في أول مرة معرة تبقى تلاحقهم؛ لأن هذا ذنب يتبعه ذنوب. فالحسنة لها أخوات سيئة أخوات.

تأمل معي الآية ﴿إِنَّكُمْ﴾ إن للتأكيد ﴿رَضِيتُم بِالْقُعُودِ﴾ رضوا بالقعود وفرحوا به فهذا ذنب عقدوا القلب عليه، ولذا حُرموا من كل قتال.

يا عباد الله متى يحرم الإنسان من القتال في سبيل الله؟

يحرم الإنسان من القتال في سبيل الله بكثرة ذنوبه، فوالله الذي لا إله إلا هو ما منعنا من قتال اليهود إلا كثرة ذنوبنا، وما منعنا من نصرة ما يحصل مع إخواننا من التقتيل إلا ذنوب عديدة كثيرة لنا. فلا حياة في قلوبنا. فالإيمان الواجب الذي يدفع صاحبه لنصرة المسلمين ليس حاصلا في قلوب الكثيرين من الناس، ولا قوة إلا بالله.

خاطبهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بقوله ﴿إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ قالوا ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ ما قاتل بعضهم يوم أحد، وكان يوم أحد يوم شديد، وكذلك ما قاتلوا اليوم الآخر، الأول والآخر من أحد إلى الخروج إلى غزوة تبوك ﴿فَاقْعُدُواْ مَعَ الْخَالِفِينَ﴾ خالف اسم فاعل، والفعل خَلَفَ، والخالفون هم من كانوا وراء المجاهدين متخلفين عنهم مع القاعدين من النساء والضعفاء الذين لا قدرة لهم على القتال، والخالف الفاسد في اللغة؛ فالعرب تقول خلف اللبن إلى فسد، وكأن صلاح القلب بالخروج مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والذود والدفاع عن المؤمنين.

الآيات فيها عدد من الأحكام، ونختم مجلسنا هذا بأحكام مستنبطة من هذه الآية:

الأمر الأول: استصحاب الذي يخذل في الحرب حرام شرعا.

لا يجوز لقائد أن يستصحب معه المخذل؛ فالمخذلون لا نصيب لهم في الجهاد، ولا تسامح معهم.

الأمر الثاني: وهو مهم. ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز قال لا خزي أعظم من أن يكون إنسان قد رفضه الشرع وَرَدَّه فهو كالجمل الأجرب.

لا أعظم من أن يكون الإنسان قد رده الشرع، وما استخدمه لنصرة دينه هذا أعظم خزي للإنسان، وهذا الذي نحن فيه هذه الأيام. إلا من كان قائما على دين الله ناشرا لدعوته، باذلا جهده في نشر التوحيد والذب عن سنة نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهذا كما قلنا من أعظم الجهاد، ولا يكون

الإنسان لا يستخدمه الشرع إلا بعد وقوعه في كثير من السيئات ومن المعاصي.

يقول ابن القيم في بدائع الفوائد في بيان حكم لهذه الآية، وهو جليل وعظيم يقول ينبغي الحذر من أمرين لهما عواقب سوء. أحدهما رد الحق لمخالفته هواك. إذا وافق هواك قبلت إذا ما وافق هواك رددته، فمن رد الحق اتباعا للهوى قال إن فعلت ذلك فإنك تعاقب بتقليب القلب، ورد ما يرد عليك من الحق فلا تقبله رأسا، ولا تقبل الحق إلا إذا برز في قالب هواك، واستنبط هذا من قول الله عَزَّوَجَلَّ ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام:110] فعاقبهم على رد الحق أول مرة بأن قلب أفئدتهم وأبصارهم بعد ذلك.

الأمر الثاني الذي يجر إلى عواقب سوء قوله فيما يخص هذه الآية التهاون بالأمر إذا حضر وقته.

حضر وقت الجهاد فتتخلف وتقعد مع الخالفين.

التهاون بالأمر إذا حضر وقته فإنك إن تهاونت به ثبطك الله، وأقعدك عن مراضيه وأوامره عقوبة لك.

قال الله عَزَّوَجَلَّ ﴿فَإِن رَّجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا﴾ فمن من هاتين الآفتين، والبليتين العظيمتين فلتهنأ بالسلامة.

إذا جاء وقت الأمر، ونفذته على الفور وراعيت واجب الوقت، ولم تنتظر ما يوافق هواك حتى تقوم به رغبة لتحقيق مآربك ولتحقيق هواك،

وإنما نزولا عند أمر الله عَزَّوَجَلَّ فأبشر بالخير، وأما إن جاء وقت النصرة فلم تقم بها فلهذه عواقب، وعواقبها قصيرة عظيمة عند الله عَزَّوَجَلَّ

والفائدة الأخيرة طلاب الدنيا ومحبوها، والذين يؤثرونها على الآخرة يعذبون بها.

فهم معذبون بالحرص على تحصيلها والتعب العظيم في جمعها، ومقاساة جميع أنواع المشاق في ذلك وهذا مأخوذ ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الدُّنْيَا﴾ [التوبة:85] فالعبد إن أدى الله وإن خالف هواه وقدمه على مصالحه ومآربه امتثالا لله عَزَّوَجَلَّ فلابد أن يكون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ناصرا مؤيدا له، وأن يسعفه في بيان العزة والنصرة لدينه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

الناس أصابهم الذل لما تركوا نصرة الله، ونصرة دين الله عَزَّوَجَلَّ فلما تركوا نصرة دين الله عَزَّوَجَلَّ أصابهم وأصابهم من الشر.

يقول تقي الدين الهلالي في سبيل الرشاد: وقد رأينا تاريخ الإسلام وتتبعناه من أوله فرأينا المسلمين في مكان يخافون الله نصرهم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى في كل معركة وفي كل مكان، فلما قل خوفهم من الله قل انتصارهم، وفي هذا عبرة لأولي الأبصار.

أقول الكفار يعرفون ذلك بسبب انتشار الفساد الخلقي الذي يخالف الفطرة، ولا سيما في الانحلال الجنسي وتفكيك الأسر فيه فائدة للكفار تطويل أعمارهم.

الكفار يعلمون أننا إن نصرنا نصره، وإن لم ننصر الله خذلنا. يعلمون هذا فهم يعملون على نشر الرذيلة فيفككون الأسر، ويفككون قوة الأمة حتى يبقوا هم السائدون. فهلا للإنسان أن يدرك هذا السر، وهو ليس سرا ومعروف، وأن ينبذ هواه وأن يستقيم على أمر مولاه، وأن يحقق تغيير في نفسه حتى يغير الله تعالى ما بنا؟ أرجو الله.

فالداء الذي فينا دواءه منا، ولا نصرة لنا في عود العز إلا أن نؤدي واجب الوقت وواجب الوقت أن نؤدي حقه سُبْحَانَه، وأن نقبل على توحيده وأداء حق التوحيد وجميع العبادات من حق التوحيد، وأن نؤثر أمر الله على ما سواه.

أرجو الله أن ينفعنا وان ينفع بنا ونكمل إن شاء الله في درسنا القادم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.